الظواهر الصوتية في شواذ سورة الفاتِحة
وأثرها في فصاحة النص

أ. العربي عبد الرحمن
الجامعة الإفريقية أدرار (الجزائر)

abstract:

This article aims at the correlation between vocabulary and phrases so that the voice of the decisive impact. It strongly suggests that trying to elaborate those relationships. It also tries to infer the results do not provide acoustic phenomena. The purpose of this is to the economy in the muscular effort, but the research is aimed -add to it - to the great scientific harvest. Search tries to connect the entire text eloquently

Résumé:

Cet article traite les relations entre les lexiques et les phrases dont les interactions phonétiques ont un rôle décisif. Le présent article tend à préciser ces relations et récolter les fruits, qui ne sont pas toujours évidents, de certains phénomènes d'origine phonétiques et dont l'objectif final est de réserver l'effort musculaire. Si cet objectif sera réorienté encore vers le sens ça serait la finalité de cette recherche.

ملخص:

يبْحثُ هذا المقال في العلائق المعنوية بين المفردات والجمل التي للتفاعلات الصوتية فيها دور حاسم. إذ يحاول البحث وضع اليد على ما دق من تلك العلائق ويتلمس ثمرة يصعب جنيها من ظواهر صوتية لفظية بالأساس والغاية القصوى منها أغلب الأحيان الاقتصاد في الجهد العضلي. فإذا تحولت الغاية من مجرد هذا إلى حصاد معنوي غامر كان ذلك أعنى ما جاد به هذا البحث.

مقدمة

يتطرق إلى الأذهان حين سماعها لفظَ "الشاذ" نوعٌ من القرف وعدم الارتياح شيء غير يسير؛ لأن الشاذ خروج عن المألوف أو القاعدة المرضية. بيد أن الشاذّ من القراءات القرآنية لا نفور منه ولا إعراض عنه إلا في باب الأحكام الشرعية التي تبني حياة الناس بشكل مباشر. وأما اللغة فإنها تستفيد تماما من القراءة الشاذة سيما إذا كان شذوذها ناجما عن عدم التواتر أو مخالفة رسم المصاحف العثمانية.

يبحث هذا المقال العلاقة المتوفرة بين الأداءات الصوتية لبعض الظواهر اللغوية الصوتية وبين المعـاني التـي تنجم عن تقلبات تلك الظواهر الصوتية. وتأثير ذلك على قبول النص والاعتراف بأوليته في الفصاحة.

ويضم هذا البحث النقاط التالية:

1- الصوائت وفصاحة النص.

2- الإمالة والبناء المعنوي.

3- الحبس والصوت وأثرهما معا في المعنى

4- الدمج الصوتي والفصاحة.

5- التأثير بالإقبال أو الإدبار وتحصيل الفرق المعنوي.

ويهدف هذا المقال إلى ابتلاء التغيرات الصوتية التي تبدو لأول وهلة تفاعلات لفظية خالصة لا شائبة معنويـة فيها ابتلاءً يكشف قبولها التعبير عن شيء من المعاني الجزئية أو الكلية أو عدم قبولها شيئا من ذلك أبدا.

ويبدأ من حيث انتهت بعض الأبحاث التي قررت فاعلية الحروف الصائتة وطواعيتها لتغيير المعاني. ثم يندرج في بعض تطبيقات هذا الموضوع ؛ فيتطرق إلى أثر إمالة الألف "الصائتة" نحو الياء في تبديل أو زيادة المعنى، وينتقل بعدُ إلى الإمساك عن الصوت تماما وتأثيره في دلالة الكلام، ليتصل إلى الفائدة المحصلة من دمج الأصـوات، ويختـم التطبيقات ببيان علاقة التأثر الواقع بين المتجاورات بمعاني الجمل والسياق بعامة.

أولا: الصوائت وفصاحة النص :

الحركات أبعاض حروف، وفي حروف المد زيادة عن حركاتِها، والزيادة في المبنى لها زيادة فـي المعنـى. ويمكن تلمّس ذلك في نيابة الحروف عن حركاتِها في الإعراب عن المعاني في باب الأسماء الستة والمثنى.

ومن معاني الزيادة في الغالي المبالغةُ في أصل المزيد. ومن مغاني الزيادة في الفتحة حتى تلد ألفا التـذكر أي إفساح المجال واسعا للمتكلم أو السامع للتذكر أو الانتباه كما في " آ " التي للنداء. ومن معاني تلك الزيادة أيضا التنبيـه كما في مد فتحة الياء التي للنداء كذلك.

وفي شواذ الفاتحة نجد:

1- **(نعبدُو وإياك)** زيادة في مد ضمة الدال ولعل لها ربطا بالواو التي بعدها فيكون ذلك من قبيـل المماثلـة وإبـراز الصوت للضمة لئلا تفنى في أختها الأقوى منها وهي الواو تماما كالذي يحدث في المد المسمى عند علماء التجويـد القرآني: "المد المتصل" و"المد المنفصل". حيث يتم تطويل الحرف المدي لضعفه عند الهمزة القوية، ولهـا طـرف مربوط بالمعنى البلاغي الإعجازي تمكن الإيماءة إليه، وهو مد الصلة من أجل المبالغة في حب ذكر العبادة والتلذذ بها، كالذي يعرف بمد التعظيم في مثل قوله ((فاعلم أنه لآ إله إلا الله)) [سورة محمد الآية :] ، أو كالذي روي أن النبي – صلى الله عليه وسلم– أقرّ من قرأ أمامه ((غـــلَّـــت أيديهم)) [سورة المائدة الآية:] مبالغا في زمن نطق

اللام خلافا لقواعد النطق العادي والتجويد تأكيدا منه وفرحا بحكم الله تعالى على اليهود بغَلّ الأيدي جــزاءَ شــنيع فولهم وافترائهم على رب العباد.

وتأثير الضمة على ما بعدها إذا كان من جنسها وارد في غير هذا الموضع ، فنحن نقرأ: (قال فرعون وآمنتم بــه)[1] إذ أثرت ضمة نون "فرعون" على الهمزة وهي من سنخ حروف المد فقلبتها واوا. ونجد أيضا: (وإذا الرسل وقتــت)[2] مثل ذلك التفسير ــ كأنهم اعتبروا الضمة همزة فأشبهَ ذلكَ اجتماع الهمزتين فصار واجبا – على لغة بعض العرب – تسهيل "تغيير" إحداهما ...

2-اهدنا صراطا مستقيما:

وهي قراءة الحسن البصري [3] ، وقراءة الجمهور المتواترة ((اهدنا الصراط)) [الفاتحة الآية : 5]، يبدو جليا فرق مــا بين النصين في التعريف والتنكير من حيث النحو، ومن حيث الصوت الفرق هو فــي إثبــات التنــوين وإســقاطه. والتنوين في الصوت نون وفي الخط ألف.

إن لذلك لأثرا في النبر أعنى التنغيم[4] على لفظ "اهدنا" والبقاء معه طويلا . مما يجعل القارئ النابر أكثر إمعانا في طلب الهداية ، وأما عند إسقاطها فإن التنغيم يتحول إلى لفظ "الصراط" مما يعطي تأكيدا على توجيه النظر والاهتمام إلــى الصراط بدل حشر أكثر ذلك الاهتمام على طلب الهداية.

ويحسن القول : إن الله تعالى أراد ههنا لفت العناية إلى تصحيح المنهج الذي ينبغي السير عليه فــي الــدنيا والآخرة بالتأكيد في هذه الجملة على كلمة الصراط لا على الهداية وحدها. ولذلك صحت قــراءة الإســقاط للألــف وشذّت قراءة الإثبات.

صراطا – الصراط التعريف والتنكير: ليس الفرق بين التعريف والتنكير في نظر علم الصوت محصورا فــي تصــدير الاسم بلام أو عدم ذلك، بل ينصبّ اهتمام علم الصوت على خاتمة الاسم إذ يتجمع الصوت المنسدل من الفتحــة أو الكسر أو الضمة يتجمع في شكل نون كتجمعه في شكل هاء للسكت في مواضع بعينها . وذلك هو ما يؤثل الفــرق المعنوي بين المعرّف والمنكّر.

3-مالكَ يوم الدين:

أسهب الصرفيون في بيان فرق ما بين اسم الفاعل الذي على وزن فاعل وصيغة المبالغة "فعِل". بل إنهم بينوا بجــلاء الفرق الذي بين صيغ المبالغة ذاتها من حيث قوة الدلالة على المبالغة ورتبوها من الأقوى إلى الأضعف[5]. غيــر أن الفرق الصوتي هنا له تجلٍ آخر على دلالة الكلام.

وذلك أن الألف تتيح التعظيم والتبجيل لأن فيها مدا واستطالة تسمح ببذل القلب أنواعا من الشعور بالذل إمــام المالــك العظيم. الذي يملك يوم الدين والحساب المهول.

ثانيا: الإمالة والبناء المعنوي :

إمالة ألف لفظ الجلالة

المعروف أن الإمالة هي أن تنحوَ بالفتحة نحو الكسرة أو بالألف نحو الياء قليلا أو كثيرا. والغرض منها التيسير واقتصاد الجهد وتمكين اللسان من السير المتوازن دون عَرَجٍ ولا عرقلة. من غير تصعُّدٍ بعد تسفُّلٍ أو تسفُّل بعد تصعُّد.

والمعروف كذلك أن الإمالة للألف من أبرز أسبابها محاولة الإشارة إلى أصلها قبل الانقلاب أو التغير الصرفي الذي اعترى الألف.

والألف في أصلها مفتوحة فتحا غير مبالغ فيه ولا جانحا إلى الياء، وقد أوجب مكي بن أبي طالب على قارئهـا (أن يعرف أحوالها وصفاتها ، وأن يلفظ بها حيث وقعت غير مفخمة ولا ممالة، ولا يميلها إلا برواية ، ولا يلغظ)

لفظ الرحمن ولفظ الرحيم في: (بسم الله الرحمن الرحيم) إذا عددناها الآية الأولى في الفاتحة. وكذلك في لفظ "لله" والرحمن والرحيم في قوله تعالى: ((الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم)). وتشذ الإمالة في لفظ الجلالة في القــرآن ولكتها لغة من لغات العرب فصحت أم قلت فصاحتها. وتتأبّــى الإمالة في لفظ الجلالة إذا فخمت لامها. بل إننا نــرى ذلك التأبِّــي مرتبطا بالمعانِي وله شواهد وأدلة من القراءات الصحيحة، ذلك أن حمزة ين حبيب الزيات –أحد القــراء السبعة– أمال الألف في مثل لفظ "هدًى" و "قرًى" و "مسمىً" إذا كانت في محل جر وأبى إمالتها إذا كانت في موضــع رفع[6].

وقد رويت الإمالة في لفظ الجلالة عن علي رضي الله عنه ورويت إمالة "الرحمن" عن قتيبة وأبي عمرو[7].

قال الفارسي: (ولم يمل أحد –أي من السبعة – "مالك")[8]. فال أبو حيان: (وقرأ "مالك " بالإمالة البليغة يحيى بن يعمر وأبو أيوب السختياني وبينَ بين قتيبة بن مهران عن الكسائي)[9] . وليست هذه الإمالة لدى الكسائي فــي قراءتــه السبعية ، وإن كان له نوعها وهو "الإمالة بسبب الكسرة البعدية" فإنه أمال "يسارعون" لذات السبب . وذكر سيبويه أن بعض العرب تميل "عالِــم" وأضرابها للكسرة التي بعد الألف.

والخلاصة الحاسمة التي نستقبلها من هذه المناولة هي أن توفر الإمالة في لفظ الجلالة دليل لنا نستدل به علــى أن:

-لفظ الجلالة مشتق.

-وأنه بناء على ذلك عربي. لأن الأسماء المتمكنة من باب الاسمية العربية هي التي تطالها الإمالة. ويقال مثل ذلك في لفظ "الرحمن" خلافا لمن عده عبرانيا أو سريانيا.

ولا يكاد يُــجهل لدى الباحثين أن إمالة الألف نحو الياء أو الفتحة نحو الكسرة فيه إشارة إلى أصل تلك الألف . والإشارة إلى أن أصل الألف ياء ، يحل إشكالاتٍ معنويةً غيرَ قليلة، في مواضع ومسائل غيرِ قليلة . بيد أن لمعتــرضٍ أن يقول:

الإمالة لهجة عربية فاشية في قوم من العرب ويفشو في غير أولئك العرب نقيضها وهو الفتح فهــل المميلــون أفصح وأبلغ للمعاني من الفاتحين؟

ويجيب المعترض نفسه: ليس ذلك بصحيح لأن الإمالة والفتح لغتان فاشيتان على حد سواء في العرب الفصحاء بل أن لغة قريش الفتح.

لقد أصاب هذا المعترض كبد الحقيقة ، لكنما يجب الانتباه إلى مسالة دقيقة هي أن معرفة المعنى من سياق مــا ولفظ ما ،له طرائق متعددة لا يفضل احدهما على الأخرى أحيانا ويحدث العكس أحيانا أخري .

لكننا قد نعثر على مواضيع أدت الإمالة فيها دورا مهما في تسهيل الوصول إلى المعنى وذاك في مثــل قولــه تعالى: ((ومن كان في هذه أعوى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا)) [الإسراء /] إذ قرأ أبو عمر بالإمالة في الأولى والفتح في الآخرة. وذلك أن الأولى اسم ممحض فهي بمعنى (عميّ) والأخرى اسم تفضيل على وزن (أفعل).

ويمكن تلمس ذلك أيضا في عمل حمزة بن حبيب القارئ إذْ أمال أمثال(هدى) و(مسمىً) ونحوهما مما لا يظهر عليه الإعراب أماله بشرط وقوعـــــــه في محل الجــر.

وهذا ربط للوظيفة الصوتية بالوظيفة المعنوية، ونقلة بالإجراء الصوتي من مجرد كونه لهجة عربيــة أو كونــه يمثل سمة من سمات العربية العامة وهي الجنوح إلى الخفة أو غيرها إلى كون ذلك الإجراء الصوتي مسهما في جــلاء المعاني وتحديدها والمشاركة فيها[10].

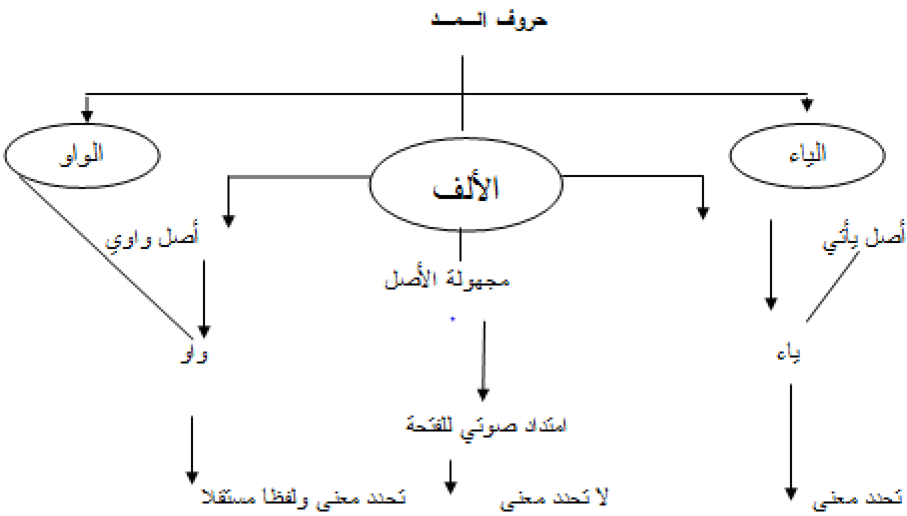
والإمالة في شواذ الفاتحة نجد صدي في الألف التي بعد لام لفظ الجلالة في البسملـــــــــة.

إن ترقيق لام لفظ الجلالة بسبب كسر قبله ، والكسرة التي بعده على آخره؛ وكلاهما كسرة إعراب ساعدتا على إمالة الألف التي بينهما ليتلاءم اللفظ ويتعادل . وقد قال سيبويه: (إنّهم يميلون مثل عابد وعالم)[11] للكسرة التي بعد الألف وهي كسرة لازمة.

وإذا ما استثنا ألف الرحمان فإن عبارة البسملة بجملتها تكون جانحة نحو الكسرة والتقليل ،خفيها خمس كسرات إحداها كسرة من بناء الكلمة أي في حرف غير حرف الإعراب .والبقية كسرات إعراب.وفيها ياء خالصة قبل كســـرة الرحيم .إذن فجو البسملة كله جو كسر.وهكذا هو كل لفظ جعل للبدء به يتطلب قرارا في نطقه .ونعني بالقرار ما يقابل : "الجواب" في منظور علم النغم ، وهو علم يبحث في طبقات الصوت عاليها وسافلها. فالبدء "القرار" يكون بطبقة سافلة خافتة والتشابه كذالك . والجواب يكون في أواسط الكلام وفي مواضع النبر العام المرتبط بالجمل لا بالحرف والكلمات وإنما كانت الإمالة في هذا الموضع شاذة لمخالفتها قواعد الإمالة لي عامة القراء والنحاة العرب . فهي على غير قاعدة وقياس.

لكن الأثر المعنوي المرجوّ منها ضئيل بل قد ينعدم لعدم معرفة أصالة الألف، وسبب ذلك الجهالة أو الاخـــتلاف في اشتقاق لفظ الجلالة .

فإذا كانت الألف حرفا (صوتا) فرعيا في كلام العرب حسبما يفهم من كلام سيبويه وابن جني، فـــإن المخطـــط التالي يبرز محل ألف مجهولة الأصالة من الهيكل الصوتي العام لحروف المد:



وقراءةً لهذا المخطط؛ فإننا نلاحظ هامشية الألف بين حروف المد ، وذلك سبب (عدم حرفيته) وعدم قبوله اللين والصلابة التي تحمل الحركات كغريمة الياء والواو وذلك السر في إمالته إلى الياء .وفي المقابل تفخيمه للدلالـــة علـــى أصله الواوي في الحيواة والزكواة والربو. (الصلاة – الزكاة – الربا) ، ولذلك كتبته المصاحف واوا في مجمـــل تلـــك المواضع.

ثالثا: الحبس والصوت وأثرهما معاً في المعني:

لا نريد ههنا أن نذكر الأثر الذي يلحقه الوقف على المعنى بمنأى عن الصوت ، بل نريد أن نبين طبيعة المعني الذي يتحقق إذا ما وقف على موضع باستحضار طريقة من طرائق الوقف الصوتية ، وهي السكون المحض والروم والإشمام والتعويض (العوض) ونحو ذلك.

ففي الفاتحة: وقف بعضهم على صراطا ومستقيما بالتعويض وذلك أنه جعلها منكّرة.

وقد أسلفنا ذكرا لما بين تعريف هذين الكلمتين وتنكيرهما من الفرق ، ويمكن هنا أن يضاف إليه أن السبل والنهج قد تعدد وكلها – إن لم تكن من بُنَياتِ الطريق التي ذمَّها القرآنُ – توصل إلى الصواب وقد يسلك الإنسان إحداهما فتوصله إلى ربه سليما.

و تحليلا للوقف بالتعويض نقول: إن لغة عامة العرب في المنون المنصوب تعويض نونه ألفا؛ لما بين النون والألف من ألفةٍ وشبه مع ملاحظة الاستقرار في النون وإمكانية انتهائها وعدم إمكانية ذلك في الألف.

وإنما وقف بالألف دون النون لأصالة الألف ههنا فهو امتداد لفتحة إعراب قبله وعدم أصالة النون فهي زائدة عارضة لا تكون إلا وصلا . ولا أصالة بل لا وجود للألف في المنون المرفوع والمنون المكسور لأن ما قبل نون التنوين ضمة أو كسرة، وهما ليستا من جنس الألف كما هو ظاهر.

وننبه إلى مسألة غاية في اللطف والدقة ، وهي أن الوقف بالتعويض لا يكون إلا على المنون ولا يصح في المنصوب غير المنون،لأن المنصوب غير المنون في الحقيقة فتحته:

- إما ليست للإعراب فهي فتحة بناء كما في كل اسم مبني على الفتح كـ"أينَ"...
- وإما ليست نصبا أصلا بل هي نائبة عن الكسرة كما في الممنوع من الصرف.
- وإما أنها فتحة في اللغة لكنها في الصورة الصوتية كسرة كما في جمع الإناث ولا شك أن العمل ههنا إنما هو على الصور الصوتية لا اللغوية النحوية.

وهذا الأمر واضح العلاقة بالمعنى وذلك أن حركة البناء أو الحركة النائبة تبين عن تمكن الاسم من الاسمية أو عدمه.وعن الأصالة لجميع حروفه ولوزنه ولعروبته ،فجمع الإناث ليست ألفة وتاؤه التي تحمل حركة الإعراب إلا مزيدتين. والممنوع من الصرف إما معدول أو أعجمي أو مزيد بحروف الألف والنون (ان) في الآخر أو غير ذالك. ولذالك فالتعويض في الوقف لا يكون على منصوب غير أصيل .

كل هذا الكلام مرتبط بالنكرة إذا ليس الوقف على المنصوب إذا كان معرفة يصح فيه التعويض بل ولا يصح فيه الروم ولا الإشمام.

على أن الرَّوم إنما أجاز في المضموم والمرفوع لكثافة الضمة والكسرة وثقلهما ولم يجز في المنصوب لخفة الحركة وعدم قبولها التبعيض.

لكن وضع أمارة (علامة) على شيئين من أصل ثلاثة وترك الثالث دون أمارة هو في حد ذاته أمارة له لتميزه عنهما. وهذا ما يحصل في الوقف على الحركات الثلاث.

فإذا كان الروم في المضموم والمكسور أمارة لكل منهما؛ فإن ترْكه مع المنصوب أمارة دالة على أن الموقوف عليه بالسكون منصوبٌ.

رابعا: الدمج الصوتي والفصاحة:

شذّ القارئ "حمزة بن حبيب الزيات" عن بقية السبعة في الإشمام بين الصاد والزاي وشذ عن نفسه في تخصيص ذلك في لفظ (الصراط) إذ أشمه في الفاتحة لخلاد.الأول حسبُ [12] [ولا يبعد هذا عن مسألة التأثير المقبل والمدبر].

إنّ الذي رواه هذا القارئ لا يشذ عن كلام العرب وعن قواعد لغتهم الصوتية، بل هو موافق لهما . فنحن إذا فتشنا في كلامهم عن نظير هذا الدمج وضعنا أيدينا على كثير من النماذج على اختلاف نطقها وعناوينها فنجد:

أ- **إشمام حرف حرفا** : بمعني إذاقته في رائحته ، والرائحة هنا تتمثل في بعض صفات الحروف القابلة للانتقال ويساعدها في صواب الانتقال التقارب أو التشابه في المخرج.

وهو نوع من الدمج الصوتي بيد أنه حاصل في صفات الحروف بمحاولة التقريب بين حرفين بينهما تنافر من جهة وتقارب من أخرى.

ولقد ذكرنا في فقرة سابقة أن حمزة بن حبيب يقرأ الصاد بعده خرف قوي: مجهور أو شديد بإشمامه زايا من أجل التقريب والتخفيف كما في: ((بمصيطر))،((يصدفون))،((يصدر الرعاء))،((الصراط)). بيد أن ما خص به "خلاد" عن "خلف" من تخصيص كلمة الصراط المعرّفة بلام التعريف؛ وهي الأولى في الفاتحة ؛ هو ما يحتاج إلى فضل تأمّل. ولعل مردّه بعد الرواية والتوقيف إلى **إظهار الصراط وتعظيمه في أعين المهتدين والضالين** على حدٍّ سواء. فإنّ إشمام الصاد المهموس بالزاي المجهور يجعله مجهورا ظاهرا "عظيما".

وقرأ بعضهم بالسين يجعله من شرط أي ابتلع لكبره وأنه نهج واسع ولعله معنى يمكن أن نفرد به تلك القراءة السبعية وهي قراءة ابن كثير.

وهذا يُمثَّل له بما ذكره سيبويه من حروف الفروع، التي بعضها مستحسن وبعضها مستهجن فقد ذكر منها:

- الجيم الذي كالشين
- الجيم الذي كالكاف
- ألف التفخيم
- الألف الممالة إمالة شديدة
- الطاء التي كالتاء[13].

ب- إشمام حركة حركة:

وهو صوت شبيه بالحرف الصائت اللاتيني (e) في الفرنسية كأنما هو واو مقللة؛ بل هي ضمة مقللة . مثل: قِـيل – سِـيءَ . وقد ورد في قراءات متواترة قرأ به ورش عن نافع في الفعل "سيء" حسبُ ، وقرأ به هشام عن ابن عامر الشامي في أفعال أخرى منها "قيل وغيض وحيل" وغيرها. ومرد ذلك الدمج إلى الإشارة إلى الأصل مع بقاء الحال. أي: إن هذه الأفعال مبنية للمفعول ووزنها "فُعِل" مضموم الفاء مكسور العين. بيد أنه إذا كانت عينه معتلة بياء استجلبت الياء كسر ما قبلها للمناسبة ، فعملت على تغيير الضمة التي قبلها. فُعِل فِـيل.

وفي اللغة الفرنسية إشمام آخر لا وجود له في العربية ، هو إشمام الألف شيئا من الواو، وهي حركة أمامية فوقية. ويمثلها صوتان أحدهما يبدأ بصويت الضم وينتهي بالكسر فكأنه تقليل أو إمالة نحو الضم. وهو صوت (E)، والآخر عكسه يبدأ بصويت الكسر وينتهي الضم ؛ فكأنه تفخيم واستعلاء بصوت الكسرة ويمثله صوت (U).

ج- إشراب الهمزة بعض الألف أو الياء أو الواو : وهو ما يعرف بالتسهيل بين-بين فليس التسهيل سوى إذاقة الهمزة جزأ من الفتحة أو الكسرة أو الضمة وذلك تلين بعدى أن كانت شديدة. وإنّما لانت بما أشربته من رائحة حرف اللين . ولذالك فالأخوة التي بين الهمزة وهذه الحروف لا تنكر مجال والأدلة عليها لا تحصر.

ولا يبعد هذا الموضوع عن مسألة التأثير والمقبل والمدبر إذ إن الداعي إلى إشمام حرف حرفا إنما هو تأثر السابق باللاحق ففي لفظ (الصراط) مثلا محاولة لتقريب الصاد المهموسة من الطاء المجهورة وذلك بما يقابل الصاد من حروف الجهر وهو الزاي الذي له مخرج الصاد نفسه ولا يفرق بينهما إلا صفتا (الجهر والانفتاح) أو(الهمس والإطباق) فالتأثر ههنا مقبل من اليمين إلى اليسار .

خامسا: التأثير المقبل والتأثير المدبر، والمعنى:

الحمدُ لُلَّـهِ. عن إبراهيم بن أبي عبلة[14]. "الملائكةُ اسجدوا" و "بهُ انظر". و"وإذا الرسل وقتت".

الحمدِ لِلَّـه: عن أبي الشعثاء[15]. والحسن البصري ورؤبة[16]. وزيد بن علي[17]. كأنما سكت عند الحمد فسكنها ثم وصل فكسر كما يكسر الساكن عند الساكن "التقاء الساكنين" والمنوي ضمة لأنها حركة إعراب. لما عرفتْ هان تغييرها أو حذفها.

ويمكن تشبيهها بقراءة وردت عن الكسائي هي في قوله تعالى: (...مريبنَ الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد)[18] [سورة ق الآية]

وتشبه كذلك ما يكون في الأذان من قول بعض الأعراب: (الله أكبرَ الله أكبر). وإنما مثلنا بالأذان لا الإقامة مع تكرار الله أكبر فيهما جميعا ؛ لأن في الأذان وقفا وترسلا وقطعا لـ "أكبر" قي التكبيرة الأولى عن "الله" في التكبيرة الثانية.

ويظهر مثل هذا التأثر المتبادل في حركة هاء الغيبة (ـه) بين الضم والكسر والإسكان. يقول السيوطي[19]: "هاء الغائب أصلها الضم كـ(ضربهُ ولهُ وعندهُ) ، وتكسر بعد الكسرة، نحو: (مـرّ بـهِ، ولم يعطِهِ) وبعد الياء الساكنة نحو: (فيهِ وعليهِ ويرميهِ) إتباعا ما لم تتصل بضمير آخر فإنها تضم نحو: (يعطيهُمُوه ولم يعطهُموه) فإن فصل بين الهاء والكسر ساكن قلّ كسرها، ومنه قراءة ابن ذكوان: (أرجئهِ وأخاه)[20]، ثم كسرها في الصورتين المذكورتين لغة غير الحجازيين، أما الحجازيون فلغتهم ضم هاء الغائب مطلقا، وبها قرأ حفص (وما أنسانيهُ) و(بما عاهد عليهُ الله) وقرأ حمزة (لأهلهُ امكثوا)[21].. وإسكان هذه الهاء لغة قليلة قرئ بها: (إن الإنسان لربهْ لكنود)[22].. وكسر الهاء في المثنى والجمع ككسرها في المفرد، فيجوز في الصورتين عند غير الحجازيين، ويضم فيما عداهما، وعند الحجازيين مطلقا، قال أبو عمرو: والضم مع الياء أكثر منه مع الكسرة".

ويظهر الُر المعنوي قي قراءة عاصم بضم هاء "عليه" في آية سورة الفتح و"أنسانيهُ" في آية الكهف المذكورتين سابقا. إذ إن ما حقق المعنى هنا هو اختلاف النطق في هذين الموضعين عن سائر أمثالهما في سائر القرآن. فعهد الله تعالى غليظ والذين وضعوا أيديهم في يد النبي صلى الله عليه وسلم للمبايعة إنما عظموا ما حقه التعظيم لأنهم –في حقيقة الأمر– إنما بايعوا الله تعالى، فناسب أن لا تكسر هاء الكناية وأن تضم محافظة على ذلك التعظيم. فناسب اللفظ المعنى.

خاتمة:

بعد هذه المعالجات الصوتية والإشارات الدلالية يمكن القول: إن التفاعلات الصوتية والتقلبات اللفظية البسيطة التي تحدثها اللغة ليست بمنأى عن القصود الدلالية المؤثرة في السياق والتي تتطلبها فصاحة القول.

فقد رأينا الكلام المقدس المنزل وحيا مبينا بينا فصيحا – رأيناه يقود اللفظ بل الصوت والصويت اليسير ليؤدي في السياق العام دلالات عظيمة.

ويمكن الخروج بجملة من النتائج الجزئية، ومنها أنّ:

- للصوائت دورانا كبيرا مع المعاني وهي محركات جاهزة للتبديل والزيادة والنقصان في المعاني.
- وللإمالة أثرا كبيرا في البناء المعنوي وتأثيله.
- وإذا حبس المتكلم الصوت في بعض أجزاء كلامه ثم استأنف كان ذلك مدعى لتغيير قصده ولغة "غير منطوقة" يغبر بها عن مكنونه ويتفاهم السامع معه متفاعلا.
- ولدمج صوتين أو صويتين غرضا معنويا يتجلى بحسب سياق الكلام.
- وتتأثر الأصوات بعضها ببعض إقبالا أو إدبارا مؤثرة بذلك على مجمل معنى الكلمة وبالنتيجة على مجمل الكلام. ومحصلة بذلك فرقا معنويا بين الأداء الأصلي اللغوي والأداء الجديد الخاضع للتفاعلات والتأثيرات الصوتية المبنية –بالضرورة– على أسس علمية لغوية معروفة.

الهوامش

[11] ينظر مختصر شواذ القراءات ص 9

[2] ينظر المصدر نفسه ص 9

[3] مختصر شواذ القراءات ، ص 9.

[4] يسمى في المفردات على حروفها "نبرا" ، ويسمى في الجمل على كلماتها "تنغيما" ، وقد يطلق أحدهما على الآخر.

[5] ينظر الكتاب 157/1.

[6] ينظر: الإقناع في القراءات السبع ، لابن الباذش ص 158.

[7] مختصر شواذ القرآن ص 9

[8] الحجة 8/1

[9] البحر 10/1

[10] الأصوات اللغوية ، محمد الخولي ، مكتبة الخريجي ، الرياض ، الطبعة الأولى 1987م ، ص 56.

[11] ينظر: الكتاب 1/ 123

[12] ينظر النشر 156/1. والإتحاف ص 63.

[13] الكتاب 4/ 258.

[14] المحتسب لابن جني 1/ 37 ، ، و مختصر شواذ ابن خالويه ص 9

[15] نفسه 36/1.

[16] مختصر شواذ ابن خالويه ص 9

[17] المحتسب 1/ 37

[18] معاني القرآن للكسائي ص 180.

[19] انظر: الهمــع 202/1

[20] الأعراف 111 والشعراء 36 وقال الألوسي: "ضم الهاء وكسرها لغتان مشهورتان ، وقد طعن كثير في هــذه القــراءة؛ فقــال الحوفي: إنها ليست بجيدة، وقال الفارسي: إن ضم الهاء مع الهمزة لا يجوز غيره، وكسرها غلط؛ لأن الهاء لا تكسر إلا بعــد ياء ساكنة أو كسرة، ورُدّ بأن الهمزة ساكنة، والحرف الساكن حاجز غير حصين، فكأن الهاء وَلِيَت الجــيم المكســورة فلــذا كسرت، وأن الهمزة عُرضة للتغيير كثيرا بالحذف وإبدالها ياء إذا سكنت بعد كسرة، فكأنها وليت ياء ساكنة فلذا كسرت، وذكر أبو شامة أن القراءة متواترة وما ذكر لغة ثابتة عن العرب". روح المعاني 32/9

[21] الآيات على التوالي: الكهف 63 ، الفتح 10 ، طه 10

[22] العاديات 6 ولم أجد هذه القراءة في تفسير الطبري ولا في روح المعاني ولا في إعراب القراءات الشــواذ. راجع الآيــة فــي الكتب الثلاثة.